مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 20 / العدد: 03 / السنة: 2021 ص ص: 93-107

الاستهلال الإبداعي في القصيدة الحسينية الأندلسية

Introductory creativity in The Hussaini Andalusian poem

أ.م.د. سهام صائب خضير

جامعة بغداد (العراق)، sihamsaib@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/16 تاريخ القبول: 2021/08/25 تاريخ النشر: 2021/09/30

ملخص :

يمثل الاستهلال الباب الذي سيدخل منه المتلقي فالاستهلال هو الجاذب الرئيس للسامع وبه يحكم عليه بالاستمرار أو بالانسحاب؛ ليترك الشاعر في مقدمة القصيدة بلا شخص يشاركه ما يعتري قلبه من مشاعر وأحاسيس. وظهرت أنواع للاستهلال في القصيدة الحسينية في العصر الأندلسي هي: النوع المباشر، النوع غير المباشر، والنوع الأخير النوع المضمن. تميزت القصائد الحسينية الأندلسية بالجانب اللغوي فقد استعمل الأسلوب السهل القريب من الأذهان واعتنى بصورة خاصة بالجانب البلاغي. توحد الزمان والمكان في القصائد الحسينية الأندلسية فالزمان واحد والمكان واحد والأحداث محفورة في قلوب المسلمين على مدى العصور.

الكلمات المفتاحية: الإبداع الإستهلالي؛ قصيدة، شاعر؛ دلالة؛ الإمام الحسين.

Abstract:

Initiation represents the door from which the recipient will enter. Initiation is the main attraction of the listener, and it governs the continuation or withdrawal to leave the poet at the front of the poem without shares his emotions and feelings. The types of initiation appeared in the Al- Husseini poem in the Andalusian era as the direct type, indirect type, and the last type the embedded type. Al- Husseini Andalusian poems were distinguished by the linguistic aspect, as he used the easy style close to the minds, and took special care in the rhetorical side. Time and space are unite in the Al-Husseini-Andalusian poems, same time and place because the events are engraved in the hearts of Muslims throughout the ages.

Key words: Introductory creativity ; poem; poet; connotation; Imam Hussein.

مقدمة

يمثل الاستهلال مدخلاً للقارىء للخوض في عالم الشاعر؛ لذلك اهتم النقاد قديماً بالاستهلال فعرفوه ووضحوا موضوعاته واستعمالاته عند الشاعر المشرقي، ولم يكن نبض الشاعر الأندلسي مختلفاً كثيراً عن نظيره الشاعر المشرقي في اهتمامه المفرط في تأليف بدايات قصائده التي تعدُّ مفتاحا للباب الذي سيدخل منه المتلقي الى عالم القصيدة الابداعي، ليعيش أوقاتا ممتعة مع أفكار الشاعر وذكرياته، فالاستهلال النفحات الأولى من الشاعر للمتلقي.

إشكالية البحث:

يعدّ البحث في الاستهلال وسيلة من وسائل الكشف عن إبداع الشاعر، وطريقة يسعى بها لجذب السامع وبه يحكم بالاستمرار أو بالانسحاب؛ ليترك الشاعر في مقدمة القصيدة بلا من يشاركه ما يعتري قلبه من مشاعر وأحاسيسه. فعمدت إلى جمع القصائد الحسينية الأندلسية، والبحث في أسباب نجاح هذه القصائد وتناقلها بين الأجيال.

أهداف البحث:

آثرت دراسة الاستهلال عند الشاعر الحسيني الأندلسي لأهميته النابعة من مكانة الإمام الحسين (عليه السلام) في قلوب الناس ، فقد تكاتف الشاعر الأندلسي مع أخيه الشاعر المشرقي في مصابٍ ترك في القلوب جرحاً نازفاً الى الأبد . ومن هنا جاء بحثي محاولة لكشف جانب آخر من الشعر الأندلسي الديني في رثاء آل البيت، فاخترت بدايات القصيدة ؛ لتكون المحور الأساس في بحثي.

منهجية البحث:

اعتمدت في بحثي على المنهج التحليلي الاستقرائي للقصائد التي قيلت في حب الإمام الحسين (عليه السلام) ورثائه، فقسمتُ بحثي إلى فقرات هي: (تعريف المصطلح ومرادفاته)، و(أنواع الاستهلال الحسيني الأندلسي)، ثم سأتحدث باختصار عن موضوع (التشييع في الأندلس)، وسأمر على (جانب الاستهلال اللغوي) من جملة فلفظة، ثم سأخصص موضوعاً كاملاً (لجانب الاستهلال البلاغي)، بعد ذلك سأتطرق الى موضوع (الزمكانية للقصيدة

الحسينية الأندلسية)، وأخيراً ذكرت أهم ما توصلت إليه في رحلتي البحثية في استهلال تلك القصائد.

الفقرة الأولى: تعريف المصطلح ومرادفاته عند القدماء قديماً وحديثاً

الاستهلال : هو أول كل شيء والدال عليه، وقد ورد في المعجم الوسيط معانٍ كثيرة منها : استهللنا الشهر أي ابتدأناه أو رأينا هلاله (**أنيس، 2008، صفحة مادة (استهل)**)، وبراعة الاستهلال تكمن في تقديم الشاعر إشارات لغرضه في أول أبيات قصيدته، وهناك اسماء أخرى للاستهلال ظهرت فيما بعد منها : مقدمة القصيدة، والبسط، والبدء، ومطلع القصيدة، والمقدمة (على وفق نوعها مثلاً طللية أو غزلية ...إلخ)، وفي العصر الحديث أطلقوا عليها عبارة : مفتاح القصيدة.

ولعل الاستهلال هو أحسن شيء في هذه الصناعة، فذكر لنا حازم القرطاجني ذلك في كتابه حين قال : ((وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالّة على ما بعدها المتنزّلة من القصيدة منزلة الوجه والغرّة ، تزيد النفس بحسنها ابتهاجاً ونشاطاً لتلقّي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك. وربّما غطّت بحسنها على كثير من التخوّن الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وَلِيَها)) (**القرطاجني، 2004، صفحة 309**) . نظر القرطاجني على عادته من جانب لا يراه غيره فقد نظر إلى أهمية الاستهلال من ناحية المتلقي في حين نظر غيره الى زاوية أخرى، فعلى سبيل المثال نظر ابن طباطبا العلوي إلى الاستهلال من الناحية الموضوعية، فقال : ((وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يُتطيرُ به أو يُستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء ووصف إقفار الديار، وتشتت الألاف ونعي الشباب، وذم الزمان. لاسيما في القصائد التي تضمن المدائح أو التهاني. وتستعمل هذه المعاني في المراثي ووصف الخطوب الحادثة، فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطيّر منه سامعُهُ)) (**بن طباطبا، 2005، صفحة 126**). واهتمام القدماء بالاستهلال لا يعني عدم اهتمام المعاصرين به، بل هناك من وجد في الاستهلال إشارة الى عالم القصيدة كله، ومن أولئك المحدثين د. يوسف حسين البكار حينما درسه في كتابه (بناء القصيدة في النقد القديم في ضوء النقد الحديث)،

واستعمل مصطلح (المطلع) فوجده أول ما ينظم في القصيدة إيذاناً بفتح باب القصيدة، وذكر اهتمام المعاصرين بالمطلع وهم يتحدثون عن تجاربهم الشعرية (**ينظر البكار، 1983، صفحة 203**). ومن المعاصرين من ربط المطلع بالناحية النفسية وتأثيرها في المتلقي منهم د. عبد الحليم حنفي عندما حلل عدداً من مطالع القصائد منها قصائد امرئ القيس والنابغة الذبياني والخنساء ... وغيرهم كثر (**ينظر حفني، 1987، صفحة 77**). ومهما تعددت الآراء في الاستهلال يبقى هو المحدد الأساس في استمرار المتلقي في السامع من عدمه؛ لما يكسبه "الاستهلال الشعري قيمته الأولى، من كونه الجسر النصي بين الغياب والحضور ترتسم من خلاله القصيدة بصورتها الواقعية بعد أن كانت متخيلة، إذ يضطلع بعبء نقطة الظهور المطبوع والمسموع للنص الشعري، بعد أن كان غائراً ثم يموضعه في بنية تركيبية تؤسس ابتداء حياة نصية شعرية، يؤذن بالتحول من المكبوت إلى المعلن، ومن الصمت إلى الصورة، ومن السكون إلى الحركة المفعمة" (**الذيابي، 1434، صفحة 38**) التي تعطي حياة لدواخل الشاعر؛ فينطلق بها لسانه فالاستهلال يمثل الانطلاقة الأولى واللبنة الأساس في بنية القصيدة الشعرية، وإذا كان الاستهلال في القصائد عصر ما قبل الاسلام، أو العصر الاسلامي، قد لا يمت بصلة لموضوع القصيدة، لكني وجدت أن الاستهلال في القصائد الحسينية في الأندلس كان الاستهلال أمرا مقصودا، أراد الشاعر به لفت نظر السامع الى ما سيقول، ثم توجيه مشاعره وأحاسيسه نحو الحدث الجلل كله.

الفقرة الثانية: التشييع في الأندلس

تأثرت الأندلس بتعاليم الدين الاسلامي أشد التأثير، ولاسيما الحمودين المتشيّعين من الأسرة الهاشميّة، وقد أغفل المؤرخون ذلك، لكن ابن الخطيب في كتابه (إعلام الأعلام) فصل لنا عادة الأندلسي في أيام محرم من طبخ الطعام، وإنارة الشّموع، واتيان البخور، وقراءة القرآن، وانشاد المراثي الحسينية، و اقامة الجنائز التمثيلية وكانت تسمى هذه المراسيم بالحسينيّة التي تحيي ذكر الإمام الحسين (عليه السلام)، وتجدد الحزن عليه عاما بعد عام (**ينظر القضاعي، 1421، صفحة 29– 30**). تُرجح المصادر التي اطلعت عليها أن دخول " التشييع الأندلس عن طريقتين أولهما : الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق، وأخذوا بقليل أو كثير من الثقافة الشيعية، ولاسيما في العراق أو مصر أو المغرب .ثانيهما : بعض المشارقة الذين باشروا نشاطاً دعائياً في الأندلس، أو قاموا بدور التجسس لمصلحة مواليهم الشيعة ... ان أول من نقل شيئاً من الثقافة الشيعية إلى

الأندلس هو محمد بن عيسى القرطبي المعروف بالأعشى (ت221 هـ) " (**مكيّ، 2004، صفحة 16**). وفهم الناس الأمر، ووعوا الفكرة فالتفوا حول القائلين به، ومن كان يحيي ذكر الإمام الحسين (عليه السلام)، لاسيما الناثرين والشعراء، وعلى عادة الشعراء الموالين لأهل البيت عليهم السلام اتخذ هؤلاء الشعراء الأندلسيون استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) منهجاً وشرعة ومن هؤلاء الشعراء الذين ذكروا لوعتهم شعرا هم:

1. ابن أبي الخصال (465 هـ ـ 540 هـ / 1073 م ـ 1146 م)
2. ابن هانيء الأندلسي _326 ـ 362 هـ / 938 ـ 973 م)
3. أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي (592 ـ 666 هـ)
5. أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني (608 ـ 684 / 1211 ـ 1285 م)
6. صفوان بن إدريس المرسي الأندلسي _ 561 ـ 598 هـ / 1166 ـ 1202 م)
7. محمد بن أبي بكر التلمساني توفي عام (645 هـ)
8. يوسف الثالث الغني بالله يوسف بن يوسف بن محمد ملك غرناطة (778 ـ 820 هـ / 1376 ـ 1417 م)

وقد سطروا لنا قصائد خالدة في وجدان المسلمين في الأندلس لما لها من وصف لتلك النكبة التي خلدها التاريخ على مرّ العصور.

الفقرة الثالثة : أنواع الاستهلال الحسيني الأندلسي

حينما جمعت النصوص الحسينية الأندلسية من ديوان الطف وجدتها على أنواع ثلاثة عند النظر الى الاستهلال الحسيني الأندلسي:

الفقرة الثالثة: النوع الأول: النوع المباشر : هو الذي يباشر الحديث عن كربلاء، وكأنه يجعلها المقدمة الطللية التي اعتاد الشاعر الجاهلي البدء بها، وكانت أساسا مهما في بناء القصيدة ومنطلقا لفهم القصيدة ومحاولة من الشاعر لجذب قارئه إليه، فقد " كان العصر الجاهلي كافياً زمنياً لتستوي المقدمة الطللية على سوقها نضوجاً وكمالاً، فباتت ظواهرها المكونة لها، والأكيد أن الصورة الطللية في الجاهلية تختلف عما صارت إليه في صدر الإسلام ... وهذه تختلف عن صور

الأطلال في عصر الأمويين، فإذا كانت الأطلال في أغلب القصائد الجاهلية توحي بالوحشية، وتحجب رونق الحياة، وتشكل صورة من صور الغناء، فإنها في الشعر الأموي تأخذ دلالات متنوعة، فهي أحياناً رمز سياسي، وأحياناً رمز اجتماعي، وهي أحياناً أخرى تقليد لنمط القصيدة التقليدية" (**حسين وعبد القادر، 2013، صفحة 169**)، وبقي لمقدمات الطللية موقعها وأهميتها حتى العصر الذهبي في العصر العباسي عندما بدأت حركة تحديث الشعر التي رأت في المقدمات الطللية تمسكا لا طائل من ورائه بالماضي، وكان أكثر من وقف وراء هذا الأمر أبو نواس وغيره من الشعراء المحدثين، أما في العصر الأندلسي، فقد كان الطلل هو الأساس في القصيدة فبه يبدأ الشاعر الكلام عن المدينة، ويختم كلامه بها فأسس الشاعر لنا قصيدة ذات بنية مستقلة بذاتها، فهي العنصر المهم في بداية القصيدة وهي المراد من قول الشاعر والغرض الرئيس، وكأنه منحدر قولي يصنعه الشاعر؛ ليحيط بأركان المصاب الحسيني ، مثال ذلك قول الشاعر ابن أبي الخصال: (**شبّر، 1988، صفحة 307/10**).

وَلَو حَدَثْتَ عَنْ كَرْبَلَاء لَابْصَرَتَ حُسَـــينا فَتَاهَا وَهَوَ شَـلْوٌ مُقَـدَدُ

وَ ثَانِي سَبْطِيّ أحمَد جَعجَعتْ بِهِ رُعَاةٌ جُفَاةٌ وَهَوَ فِي الأرضِ أَجْرَدُ

وَلَـــمْ يَرقَـبُـــوا إلا لِآلِ محمدٍ وَلَـــمْ يَذْكـــرُوا أنَّ القِيَامةِ مَوعِدُ

بدأ الشعر ذكر المدينة التي تقدس ترابها بدم الإمام الحسين (عليه السلام)، وارتبط ذكرها بذكر الإمام الحسين (عليه السلام) ومجرد ذكرها يجعل طيف الفاجعة يطوف في مجلس ذاكريه، ويجعل أنفاس الأطايب تشيع في المكان، ولو أننا أكملنا سرد ما قاله الشاعر سنجد اتحاد المكان مع الحادثة، فالطلل وأثار الأحباب مترابط متشابك، وكأنه جزء لا يتجزأ، فجاء الاستهلال بالمكان والحديث عن المصاب مباشرة بلا مقدمات. فالعلاقة بين العربي والوجود علاقة متوترة ذات ثنائيات ضدّية متكاثرة باستمرار الزمن (**ينظر كنوني، 1999، صفحة 48**)، ولاسيما لقضية أثارت وجدان المسلمين، وغير المسلمين على مرّ العصور فقد جاء وصف الإمام الحسين (عليه السلام) بعبارة (شلْوٌ مقدد) بعد استشهاده في تلك النكبة وهو أجزاء ممزقة ومحترقة.

الفقرة الثالثة النوع الثاني: النوع غير المباشر: أما هذا النوع فيتخيل حواراً يقدم من خلاله نكبة كربلاء، وبذلك يحقق حواراً قائماً عن تعداد الأصوات والابتعاد عن الصوت الواحد في مطلع القصيدة، فهذا الحوار آت بعد ضجيج الشعر في رأس الشاعر قبل لحظة الكتابة بمدة طويلة

في مرحلة المعاناة في كتابة النص الشعري الذي يتجلى فيه في مرحلة الإبداع الشعري (**ينظر الذبابي، 1434، صفحة 48**)، كحوار صفوان ابن ادريس المرسي مع حمامة فيقول في مطلع قصيدته: (**شبّر، 1988، صفحة 249/3**)، بدأ الشاعر من خلال أسلوب التساؤل، وعلى الرغم من أن الحوار موجه لحمامة الا أن الشاعر يخاطب نفسه ، مستعملا أسلوب التجريد، قائلا:

أمــرْنةُ سَــجَعَتْ بِعُــودِ أرَاكِ قُولِي مُولَّهَــة عَــــلامَ بِكاكِ
أجَفـــــاكِ إلفــكَ أمْ بُليتِ بِفرقةٍ أمْ لَاحَ بَرْقٌ بِالحِمَى فَشَجَاكِ
لَوْ كَانَ حَقاً مَا ادَّعيتُ مِنَ الجَوَى يَوْمــاً لما طَـرَقَ الجُفونَ كراكِ
أو كَــانَ رَّوعَــكِ الفُــراقُ إذاً لما ضَـنَّــتْ بماءِ جُفُونِها عَيناكِ

حاول الشاعر أن يحل الحمامة محله، ليظهر آلامه وحزنه وبكاء عينه من غير أن يلومه أحد على إظهار حزنه ولوعته، ثم يتنقل إلى الغرض الأساس كعادة الجاهليين ببيت يكون الفاصل بين المقدمة والغرض فيقول :

لَو كُنْتِ مِثلِي مَا أنفتِ مِن البُكَا لَا تَحْسَـبِي شَكْوَايَ مِن شَكْوَاكِ
إيـــــهِ حمَامـــةُ خَبْرِيـني، إنَّنِي أبْكِي الحُسَينَ، وأنتِ مَا أبكاكِ
أبـــكِي قَتِيـــلَ الطَفِ فَرَعَ نَبِينَا أكـــــرِمْ بِفَرعٍ للنُبِـــوّةِ زَاكِـــي

لكن ظن المتلقي لا يذهب بعيدا، إذ يدخل نفسه الى داخل ذلك الحوار الذي أتخذ أكثر الطيور حنيناً لشريكه الذي غاب عنه على وعد اللقاء به لاحقاً تلك الأسطورة التي ذُكرت لنا عن حمامة سيدنا نوح (عليه السلام) حينما غادرت الحمامة؛ لتبحث عن أرض النجاة التي تهبط عليها السفينة، ولم تعد فظل أليف الحمامة ينتظر، وينوح على من تركه وحيداً بلا رفيق. ولعل هذا الحال هو حال الشاعر الذي يحن للإمام الحسين (عليه السلام) الذي غادر الدنيا بجسده لا بفكره وروحه الخالدة، واختار الشعر نوح الحمام؛ لأن فيه إشارة خفية الى الألم الذي يعتصر القلوب.

الفقرة الثالثة النوع الثالث: الذي يأتي مضمناً مع غرض آخر مثل المدح، كمدح الشاعر الأندلسي محمد بن هاني الأندلسي للمعز لدين الله الفاطمي ويذكر ما جرى على الإمام الحسين

(عليه السلام)، فيبدأ الشاعر بمقدمة غزلية، لكن من ينعم النظر بالبيتين اللذين ذكرهما يجدها بداية حزينة لإنسان لا يجد الا البكاء والحزن عندما يتذكر تلك الحالة المؤلمة: (**شبّر، 1988، صفحة 75/2**)

يَعــزُّ عَلَى الحَسْــنَاءِ أنْ أطأ القَنَا واعثرْ فِي ذَيلِ الخَمِيسِ العرمرمِ
وَبَيْنَ حَصَى اليَاقُوتِ لبّاتَ خَائِف حَبِيبٍ إليهِ لَو تَوَسَدَ مِعْصَمِي

ويحاول ادخال فكرة الحرب وذكر الجيش، مما يوفر احساسا بالواقعة، ثم يعمد إلى تضمين واقعة الطف فيما يقول، قال: (**شبّر، 1988، صفحة 76/2**)

فَلَا حَمَلَتْ فُرسَانِ حَربٍ جِيَادَهَا إذَا لَمْ تَزرهُم مِنْ كُمَيتٍ وَأدَهم
وَلَا عَذِبِ المَاءِ القِرَاحِ لِشَــارِبٍ وَفِــي الأرْضِ مَروانِيــةٌ غَيرُ أيم
ألَا إنَّ يَومَــاً هَاشِــمياً أظَلَهــمْ يَطيــرُ فَرَاشُ الهَامِ مِنْ كُلِ مُجْثم
كَيــــومِ يَزيــــدٍ وَالسَبَايَا طَرْيدةٌ عَلَى كُلِّ مَوــارِ الملاطِ عَثْمَثم
وقَد غَصَّتْ البَيداءُ بِالعِيسِ فَوقَها كَرَائِــــمُ أبنــــاءِ النَبــيِّ المكَرَم

فأصبحت هذه الواقعة غصة في قلب الشاعر، وحاجة ملحة يريد انجازها؛ فأدخلها في صلب قصيدته المدحية ليذكر أولي الأمر بضرورة الثأر، وإبقاء ذكرى الحسين (عليه السلام) خالدة. وأجد عدم ذكر اسم الإمام (عليه السلام) مباشرة في هذه القصيدة إلتفاتة ذكية وأكتفى بذكر الحادثة؛ لأنه لو ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) في قصيدته المدحية، لكانت قصيدة تتجلى فيها هيبة الإمام، ويتوارى فيها الممدوح فلا نجوم تطغى على القمر.

الفقرة الرابعة: جانب الاستهلال اللغوي

أثار الجانب اللغوي اهتمامي عندما اطلعت على النصوص الحسينية الأندلسية، مما وجدته من سهولة وبساطة، وكأن رغبة الشاعر في إيصال مشاعر لكل الأزمنة بلا استثناء؛ لذلك هجر الألفاظ المهملة غير المستعملة، فقد استعمل الشاعر لغة عربية تقترب من السهل الممتنع، فاعتمد على الجملة العربية الأصيلة، والألفاظ الفصيحة، والأسلوب البلاغي المميز الذي سأفرد موضوعاً خاصاً له. فجاءت ألفاظ الشاعر على وفق ما ذكره لنا ابن سنان الخفاجي في شروط فصاحة اللفظة، فكانت مكونة " من حروف متباعدة المخارج " (**الخفاجي، 1982، صفحة 64**)، فلم أجد لفظة تشذ عن هذه القاعدة اللفظية التي ذكرها لنا ابن سنان، فجاءت ألفاظ الشاعر

الأندلسي ((معتدلة غير كثيرة الحروف)) (**الخفاجي،1982، صفحة 87**)؛ لكي يسهل قراءتها وحفظها من المتلقي. قد أعرضت عن ذكر ما تبقى من شروط فصاحة اللفظة للقارىء ليطلع عليها؛ لكون بحثي لا يتخصص بمسألة فصاحة الألفاظ، بل جاء في معرض حديثي عن جانب الاستهلال اللغوي في القصيدة الحسينية الأندلسية. فقد استطاع الشاعر الإندلسي أن يشارك في النكبة بصوته الشعري مع المتلقي وبروحه التي حضرت الواقعة. فقد كان شعرهم يمثل المذهب الشيعي في مناصرة آل البيت ومنهم ابن هانىء الأندلسي: (**شبّر، 1988، صفحة 78/2**)

لِي صَارِمٌ وَهُوَ شِيعِي كَحَامِلِهِ يَكَادُ يَسْبِقُ كَرَّاتِي إلى البَطَلِ

اذَا المِعزُ مُعزُ الدِينِ سَـــلَّطَهُ لَمْ يَرتَقِبْ بالمَنَايَا مُدةَ الأجلِ

نجد هذه الأبيات تشكل أصدق تمثيل لما يسعى الشاعر الحسيني لوصفه من صدق العاطفة، وفصاحة الألفاظ وسهولتها، وجمال اللغة وقوتها، وقدرته على إيصال المعاني للمتلقي، فهو يصف في الظاهر سيفه، لكنه في الحقيقة يصف لسانه الذي يدافع عن عقيدته لكنه ينتظر الإشارة من صاحب الأمر حتى يباشر بالقتال واقتحام المنايا.

الفقرة الخامسة: جانب الاستهلال البلاغي

سخر الشاعر الحسيني الأندلسي كل إمكانياته البلاغية واللغوية ؛ ليقدم القصائد الحسينية بأفضل حلية، فكان السمة الواضحة في استهلال قصائده، ولعل ((من سنن العرب التكرار، والإعادة، وإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر)) (**بن زكريا، 2005، صفحة 351**)، وجذب اهتمام المتلقي مثال ذلك قول أبي البحر صفوان بن ادريس التجيبي المرسي (561 ـ 598 هـ): (**شبّر، 1988، صفحة 12/4**)

سَـــلَامٌ كَأزهَـــارِ الرُبى يَتَـنَسَـمُ عَلَى مَنْزِلٍ مِنهُ الهُدَى يَتَعَلَّمُ

عَلَـــى مَصْـــرَعِ الفَاطِمِيينَ غيّبتْ لأوجههم فيـــهِ بِـدُورٌ أنجمُ

عَلَى مَشْـــهَدٍ لَو كُنْتُ حَاضِرَ أهلِهِ لَعَاينتُ أعضاءَ النَبِيِّ تُقَسَّمُ

عَلَى كَرْبَلَا لَا أخْلِفُ الغَيثُ كَرْبَلا وإلاّ فإنَّ الدَّمْعَ أنْدَى وَأكْرَمُ

مَصَـــارِعُ ضَجـــتْ يَثْربُ لمصَابِها ونَاحَ عَليهن الحطيمُ وَ زَمْزَمُ

سيطر أسلوب التكرار على الاستهلال في قصيدته حتى بات (حرف العطف) في كل بداية بيت تقريباً، وكأنه يشير إلى ما يحمله حرف الجر من معنى يدل على (الاستعلاء) ، ولا يخفى ما لآل البيت من رفعة ومكانة، وما حدث لهم تجاوز الوصف والألم؛ لذلك كرر لاشعورياً مكان النكبة (كربلاء) لما شعر به من مرارة خنقت عباراته، فالتكرار قد يحيي كلمة وقد يميتها (**ينظر نوفل، 1995، صفحة 130**)؛ لذلك لم تكن نكبة كربلاء في ذهن الشاعر الحسيني الأندلسي مجرد حدث في زمان ومكان بل كسبت الحياة في وجدانه وشعره؛ لذلك أضفى عليها ما لأحياء من أفعال وجعل ما يرتبط بها حياً، وخالداً ذا صفة حيوية ودائماً، فسيطرت الأستعارة على الاستهلال مثال ذلك قول صفوان بن أدريس معارضاً قول الحريري (خلّ ادكار الأربع): (**شبّر، 1988، صفحة 250/3**).

أومــضْ بِبَرقِ الأضلُعِ	واسكبْ غَمامَ الأدمعِ
واحــزنْ طَويلاً واجزعْ	فهــو مكــانُ الجزعِ
وانـثــرْ دمـاءَ المقلتينِ	تَألمــاً علــى الحسينِ
وابكِ بدمعٍ دونَ عَينٍ	إنْ قــلَّ فيضُ الأدمعِ
قَضَــى لهيفَــا فَقَضَى	مِنْ بَعــدِهِ فَصلَ القَضَا

خلط الشاعر عناصر الطبيعة مع كيانه ووجدانه، فجعل للجامد حياة فجعل البرق كالجسد له أضلع وعيون تقطر الدمع وله مشاعر تحزن فدموع العيون تحولت إلى دماء، بل طلب من المتلقي البكاء من غير عيون حينما تقل الدموع. فقد استعمل الاستعارة حينما جعل الجامد بصيغة الأحياء. ونجد الشاعر قد عمد إلى نوع ثالث من البلاغة وهو الجناس في البيت الأخير (قضى، قضا). استعمل الشاعر أنواع بلاغية أخرى لكنه اعتمد على التكرار والأستعارة والجناس بصورة واضحة فشكلت الميزة الأساس للأستهلال.

الفقرة السادسة: الزمكانية للقصيدة الحسينية الأندلسية

لا يخفى على أحد ما تنماز هذه القصائد من توحد الزمان والمكان مما أكسبها خصوصية تنفرد بها عن المجاميع الشعرية سواء أكانت لشعراء متعددين أو لشاعر واحد على الرغم من خصوصية الزمان والمكان في الشعر الأندلسي وتعصبه لكل ما هو أندلسي (**ينظر بوداب، 2015، صفحة 29 وما بعدها**). لكننا نجده ينبذ هذا الأمر في قصائده ويتجه بنظره وأنظار المتلقي إلى

أرض أعز من أرضه، وزمان جرح القلب العربي به، وشخصية مثلت الكيان العربي، وأحداث حفرت في تاريخ البشرية. إذن نحن أمام ظاهرة أندلسية تجرد فيها الأندلسي من انتمائه إلى انتماء أكبر وأرسخ من موطن ولادته وأصله. وإن كانت الرؤية للزمان مختلفة بالدراسات النقدية والفلسفية ((وقد قام التفكير الفلسفي في موضوع الزّمن على ثنائيّات ضدّية من ثبات وتغير، واستقامة ودوران، ونسبية واستقلال مطلق، ومثاليّة وموضوعية، واتصال وانفصال فضلاً عن الزمن الفيزيائي والطبيعي والزّمن النفسي، وإن كانت الفيزياء الحديثة قد أثبتت أن المكان يُعدّ بعداً رابعاً للزمن، أي أنهما لا ينفصلان بأيّ حال من الأحوال، والإنسان لا يمكن أن يحل في مكانين مختلفين ومنفصلين في زمن واحد)) (**درويش، 2014، صفحة 83 – 84**). فهو ملتزم بجسد وزمان واحد لكننا أمام ظاهرة وحدت نفوس المسلمين فتوحدت تلك القصائد بما يُعرف في عصرنا الزمكانية ونعني بها ((مصطلح منحوت من كلمتي الزمان والمكان، وهو في الأساس مصطلح غربي مشتق من ألفاظ لاتينية)) (**العتيبي، 2015، صفحة 20**) فتوحدت قصائدهم بالزمكانية، وبالذات الشاعرة الواحدة، فقلما نجد هذا التقارب والإتفاق على الزمان والمكان بين الشعراء على مرّ العصور بلا خلاف، ولعل المصاب الذي ترك جرحاً عميقاً في قلوب المسلمين في ذلك المكان أي (كربلاء)، وزمان يتمثل في لحظة استشهاد الحسين (عليه السلام) وآل بيته الأطهار ومن تبعه حرك الشعراء في إتجاه واحد وهو نصرة قضيته والسير على نهجها مهما تباعدت المسافة المكانية والزمانية، فالزمان والمكان والحدث والأبطال كلها واحد تتكرر بتكرار من يحيها ويعيشها ويقيم شعائرها، لذلك جاء وصف الشاعر الحسيني الأندلسي على الرغم من بعد المسافة بين العراق والأندلس كأنه واحد يعيشه الشاعر الأندلسي في وقت الكارثة ذاتها، فكأنما توحد الشاعر الحسيني مع الأحداث؛ لهذا نجده يطلب أن يزور المتلقي موقع الطف، قال الشاعر ابن أبي الخصال (ت 540 هـ): (**شبّر، 1988، صفحة 305/10**).

عَرجْ عَلَى الطَفِ إنْ فَاتَتْكَ مَكرمةً واذرفْ الدُموعَ بها سَحا وهَتانَا
وابكِ الحســـينِ ومَـنْ وَافَى مَنيتهُ فـي كَربــلاءِ مَضُوا مَثنى وَوحدَانا
يا لَيتَ أني جريـــحُ الطفِ دونهمُ أهـين نفســاً تفيدُ العزَّ مَنْ هّانَا

أني لَأجعـلُ حُـــزني فيهما تَرَفـــا يَكـونُ للذنبِ تَكفيـراً و غُفرانَا
للهِ عَـيـنٌ بَكـَتْ أبنـــاءَ فَاطمةَ ترى البُـكا لهـم تَقوى وَ ايمانَا

نلحظ تداخل الأزمنة عند الشاعر فمرة يستعمل زمن الماضي فيقول (عرج) وأخرى يخاطب المتلقي ويأمره وكأنه أمامه فيقول (وابك الحسين)، فنحن أمام ظاهرة لا تستعمل الزمن اللغوي على الرغم من قدرة ((العربية أن تحيط بأبعاد الزمن بقدر ما تعاقب الليل والنهار، وما الزمان إلا فعل الحركة صوب الماضي أو أثناء الحاضر أو باتجاه المستقبل، إن الدلالة الزمنية من القضايا الأساسية في لغتنا العربية، بل ومن المقاييس الضرورية التي أثبتت مرونة اللغة العربية وثراء مصطلحاتها الزمنية فمن خلال الإطلاع على المعاجم اللغوية القديمة نلحظ تقسيمات متفرعة للزمن)) (**الشدي، 1433، صفحة 5**)، لكننا نجد الشاعر الحسيني يوحد الزمن في ذهنه بين الماضي والحاضر والمستقبل، فما حدث يحدث وسيحدث مراراً وتكراراً في ذهن الشاعر، فتلك النكبة لا تخص زمناً بذاته بل هي قضية كل الأزمنة فحق الحسين الشهيد ما زال قائماً فتضحياته خالدة إلى أبداً الآبدين، ولعل الشعراء عادة ما ((يحددون قصائدهم بالزمن في مواصلة لبناء نصّهم، وقد يتوقفون في زمن معيّن، يتصل بالماضي ولا يتصل أبداً بالحاضر، أو قد تتداخل الأزمنة، كما في تلك القصائد التي تتحدّث عن الزمن الحاضر)) (**الحفيظ، 2017، صفحة 316**)، وتكمن أهمية القصائد الحسينية في كونها تحيي الماضي لأجيال، ولعل الشاعر الحسيني على مرّ العصور استشعر النكبة فكأنه معاصراً لها ، فعمد إلى حث المتلقي على زيارة المكان والبكاء فيه و تنفث روحه آهات تصف رغبته الذود عن آل البيت وحمل الجراح بدلاً عنهم بل حمل نفسه ذنباً لأنه لا يحزن حزناً يليق بهم فيدعو بالخير لمن جعل من دموعه سبيلاً للإيمان والتقوى فأحيا هذه النكبة بالبكاء. فتلك المشاعر التي أحزنتنا جمعتنا في مكان واحد وزمن واحد يمثل زمن النكبة المستمر والخالد بخلود محيي الإمام الحسين.

خاتمة البحث:

يعدُّ الاستهلال مفتاح النص الذي يجذب القارئ له، وبه يستعين الشاعر باستمالة القارىء إلى إكمال القصيدة لنهايتها ومن هذا المنطلق يجب على الشاعر الإهتمام بالاستهلال في قصائده الشعرية، فلو أهمل صنعة الأستهلال لترك القارىء الشاعر في مقدمة القصيدة بلا شخص يشاركه ما يعتري قلبه من مشاعر وأحاسيس. وكانت أنواع الاستهلال في القصيدة الحسينية في العصر

الأندلسي على أنواع هي: النوع المباشر الذي يقدم الفكرة بصورة مباشرة، والنوع غير المباشر الذي يُقدم من خلال غرض شعري ما كمدح خليفة مثلاً ، والنوع الأخير النوع المضمن الذي لا يفهم الا بعد إنعام النظر. والقصائد الحسينية الأندلسية تبدو واضحة بقدر الاهتمام بالجانب اللغوي فقد استعمل الشاعر الحسيني الأسلوب السهل القريب من الأذهان واعتنى بصورة خاصة بالجانب البلاغي. توحد الزمان والمكان في القصائد الحسينية الأندلسية فالزمان واحد والمكان واحد والأحداث محفورة في قلوب المسلمين على مدى العصور، وإن كان الاهتمام بسهولة المأخذ والفكرة هو ديدن الشاعر الأندلسي بشكل عام، لكنه تمسك به في القصائد الحسينية وهذا أمر مقصود من الشاعر الحسيني حتى تبقى القصائد عالقة بأذهان الناس بشكل كبير.

المصادر والمراجع:

أ- الكتب

- الاصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبدالملك (ت214هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون ، 1964م، الاصمعيات، ط2، دار المعارف بمصر.
- البصري صدر الدين أبي الفرج عبدالحسين (ت659هـ) تحقيق مختار الدين احمد، 1964، الحماسة البصرية، مطبعة دار المعارف العثمانية ، الهند.
- بن فارس لأبي الحسين أحمد بن زكريا (ت593هـ)، تح: الشيخ أحمد صقر، 2005م، الصاحبي (كتاب في فقه اللغة)، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة .
- البكار د. يوسف حسين، 1983م، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت _ لبنان.
- البلنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف ابن الأبّار الأندلسي (595 هـ - 658 هـ) تحقيق : السيد أبو الفتح دعواتي، 1421هـ، درر السّمط في خبر السّبط، مجموعة كتب (أدب التشييع الأندلس)، ط1، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، ايران.
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، 1969، الحيوان، ط2، منشورات المجمع العلمي الاسلامي، بيروت.

. حفني د. عبد الحليم، 1987 م، مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

. الخفاجي الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي (ت 466 هـ)، 1982 م، سر الفصاحة،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ شبّر جواد، 1409 هـ ـ 1988م، أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام) من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ط1، دار المرتضى بيروت ـ لبنان.

ـ العلوي أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا (ت322هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن ناصر المانع، 1405ـ 2005 م، عيار الشعر، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

. القرطاجني أبو الحسن حازم، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، 2004 م، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط 4، دار الغرب الأسلامي، بيروت.

.كمّوني سعد حسن، 1999 م، الطلل في النص العربي (دراسة في الظاهرة الطللية مظهراً للرؤية العربية)، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، توزيع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان.

ـ مكيّ د.محمود علي، 2004، التشيُّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، ط1، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة .

ـ نوفل د. يوسف حسن، 1995، أصوات النص الشعري، ط 1، الشركة المصرية العالمية للنشر . لونجمان، 10 (أ) شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي ، الجيزة ، مصر ، طبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة.

ب– المقالات

. حسين أ.م.د. رافعة سعيد، و م.د. محمد عبد القادر، 2013 م، معاينة الطلل أرضية الإنتماء المكاني ـ الشعراء المخضرمون انموذجاً ـ ، مجلة جامعة زاخو، المجلد (1) B ، ع (1).

ـ الحفيظ د.صفاء عبيد حسين، 2017، استراتيجية الاستهلال في خطاب رهيف حسون الشعري – تابوت الشرق انموذجاً –، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بغداد، ع (34)، آب.

ج– الأطروحات والمذكرات

ـ خلجاوي نعيمة، اشراف: أ.د. عبد الصمد عزوزي، 2015 ـ 2016، دلالات المكان في الشعر الأندلسي (العصر الغرناطي انموذجاً)، رسالة ماجستير، جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللّغات، قسم اللغة والأدب العربي .

ـ الشدي رسماء بنت عبد الرحمن بن محمد، د. علي بن ناصر بن جماح، 1432 هـ ـ 1433 هـ، الزمن في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف (422هـ ـ 484 هـ)، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الآداب.

ـ العتيبي منير بهار، إشراف د. جمانة مفيد سالم، مايو، 2015، البنية الزّمكانية في روايات وليد الرجيب (دراسة وصفية تحليلية)، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، الأردن.

هـ – المعاجم

ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الخزرجي المصري، (ت 711هـ)، 1970 م، لسان العرب، دار صادر، ودار لسان العرب، بيروت ـ لبنان.